ستديو ثقافة شعبية

سوالف .. نسائية

ياصياد السمج

مضيف .. وقارب لم يكتمل

من رجال التراث الشعبي العراقي

(٤)

رفعت مرهون الصفار

فؤاد عباس ١٩١١ - ١٩٧٦

ولد الاستاذ فؤاد عباس في مدينة الخالص/ بعقوبة، تخرج في دار المعلمين الابتدائية في بغداد ثم اوفد في بعثة حكومية لنيل شهادة الليسانس من الجامعة الامريكية في بيروت. عين مدرسا فمديرا في المدارس الثانوية فمفتشاً اختصاصيا للغة العربية وهو شاعر واديب وتربوي الا انه اشتهر بكونه محدثا لبقا في الاذاعة والتلفزيون وعرف بسعة اطلاعه وحلو فكاهته وادبه قال عنه الدكتور صفاء خلوصي: (كان فؤاد اميل الى الحديث والخطابة الارتجالية البليغة منه الى الكتابة والتاليف)...

ولعل لسحر صوته الذي لا يمكن ان يدون على قرطاس اثرا في هذا المنحى الذي انتحاه كما قال عنه الاستاذ جعفر الخليلي ان لفؤاد عباس في مكتبة تسجيلات الاذاعة و التلفزيون وفي اشرطة الاندية ما يؤلف خمسين مجلدا او اكثر لو اردنا ان ننقله على الورق.

محمود احمد السيد ١٩٠٣ - ١٩٣٧

ولد محمود احمد السيد في اسرة دينية. تخرج في دورة للهندسة وعين موظفا في دائرة ري الهندية الا انه تركها وسافر الى الهند وبقي هناك سنة واحدة.

بدأ بالكتابة في الصحافة في جريدة الشرق وجريدة العراق و العالم العربي والاستقلال ومجلة اليقين و المصباح و الصحيفة والمعرض و الحديث و الحاصد كما الف قصصا وهو يعد رائد القصة العراقية.

ان سفره الى الهند كان له الاثر البليغ في نفسه اذ أطلع على احوال وافكار جديدة. من مؤلفاته. في سبيل الزواج. مصير الضعفاء. النكبات. السهام المتقابلة. شاركه عوني بكر صدقي. هياكل الجهل - القلم المكسور- جلال خالد - في ساع من الزمن –كما نشرت له قصص عن اللغة التركية.

محمد رضا الشبيبي ١٨٨٩-١٩٦٥

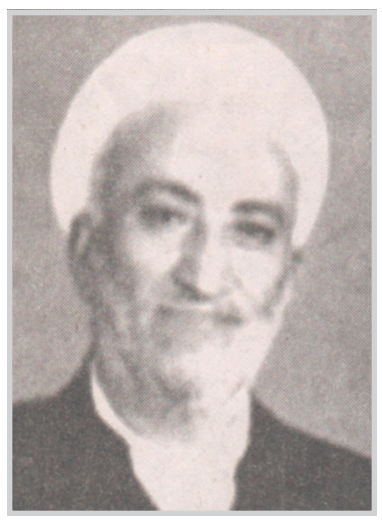
محمد رضا الشبيبي

ولد الشيخ محمد رضا الشبيبي في مدينة النجف الاشرف وهو نابغة من نوابغ الشعراء المتأخرين وزعيم وطني معروف تولى وزارة المعارف مرات عدة ورئيسا لمجلس النواب ورئيسا لمجلس الاعيان وعضوا في المجمع العلمي العربي في دمشق ومجمع اللغة العربية في القاهرة ورئيسا للمجمع العلمي العراقي... منح من قبل جامعة القاهرة مرتبة الدكتوراه في اللغة العربية والدراسات الاسلامية ورئيسا لنادي القلم.

أنور شاؤول ١٩٠٤-١٩٨٤

ولد انور شاؤول في مدينة الحلة مدينة الشعر والالهام من عهد كلكامش الى صفي الدين الحلي وحيدر الحلي عاش في هذه البيئة الادبية فسكبت في قلبه حب الشعر والادب. نظم الشعر وهو لا يزال طفلا صغيرا نال اجازة الحقوق وحرر في جريدة المصباح الاسبوعية واصدر مجلة اسبوعية بأسم الحاصد. أسس دار طباعة باسم (شركة التجارة و الطباعة المحدودة). من مؤلفاته، الحصاد الاول، عليا وعصام، في زحام المدينة، همسات الزمن، قصة حياتي في وادي الرافدين، وترجم اربع قصص صحية، قصصاً من الغرب، فنون الطباعة العامة وصناعتها، وقد نظم قسما من ملحمة كلكامش البابلية شعرا كما يعتبر انور من رواد القصة العراقية.

حسين قسام ١٨٩٧-١٩٥٨

ولد في مدينة النجف الاشرف في بيئة فقيرة كادحة مما جعله يميل الى الفكاهة و الظرف حيث نشأ في محافل المجالس الحسينية فأولع بالادب العامي فنظم الشعر الساخر وقد عرف بقدرته اللغوية وباستطاعته ان ينظم الشعر بسرعة وبكلمات وجمل تبدو لك عربية ولكن لا اصول لها في اللغة الدارجة او المعاجم اذ تنطلي معانيها على السامعين فضلا عن انه نسيج وحده في تخيل الادوار الهزلية والفكاهة والظرف ونسج الاحابيل والنكات.

سخر من العادات و التقاليد القديمة ومن الاوضاع السائدة في مؤلفاته الشعرية. "الأفكار المطلسمة، سنجاف الكلام. قيطان الكلام. محراث الكلام"

من المحرر

التأريخ الشعبي

باسم عبد الحميد حمودي

اذا كانت مقولة مفادها (التاريخ يكتبه الاقوياء) صحيحة الى حد كبير فان معظم ما دون من مواد تاريخية تحكي وقائع او تشير اليها جاء من وجهة نظر السلطة الحاكمة وان صورة اخرى للواقعة التاريخية ترويها السن اخرى، على المؤرخ والدارس أن يبحثا عنها للوصول الى (الحقيقة) كاملة او شبه كاملة.

ان الوقائع الشعبية هي التي تروى كرديف للواقعة التاريخية الرسمية، فمقتل الاسرة المالكة في ١٤ تموز ١٩٥٨ تتطابق معه تفصيلات اخرى يرويها اهل الكوت (مثلا) عن جرح ونجاة الاميرة هيام، ويرويها الدكتور صالح البصام في مذكراته عن هروب نوري السعيد ومقتله، ويرويها جنود الثورة ويرويها اهالي مرافقي الملك وولي العهد الذين نجوا من الموت وجنود الحرس الملكي الذين تقابلوا مع جنود الثورة، وتردد اسرهم الوقائع بطريقة واخرى.

ان التاريخ الشعبي لا يقف عند حدود الواقعة السياسية او المعركة، بل ينتشر ليتحدث عن سنة الحنطة المسمومة في السبعينيات وواقعة مرض الخيول في ريف الصويرة والحفرية في الستينيات واستعانة الفلاح بالدراجه الهوائية نتيجة لذلك، بل انه يضع للمثل الشعبي مرادفا وقائعيا عبر قصته ويضع للهوسة العشائرية تاريخا مرتبطا بها وهو تاريخ شعبي بكل قيمه لا يعني التاريخ الرسمي شيئا الا فيما يتعلق بالصور الابداعية الخاصة بالهوسة.

نصل من كل ذلك الى ان ثمة تاريخاً شعبياً، يروى لكل واقعة او حدث، وان هذا التاريخ هو الاطار الحقيقي للحدث التاريخي او الاجتماعي و ان ذلك يدفعنا الى البحث فيه والغوص في تفاصيله.

عادات الأكل والضيافة عند التوحيدي

محمّد رجب السّامرائي

أبو حيّان التوحيدي " ٣١٢هـ-٤١٤هـ"، أحد كُتّاب النثر العربي، وصاحب المؤلفات الكثيرة، التي لاقت عناية المؤلفين في تحقيقها ونشرها في مختلف جوانب الثقافة الموسوعية. ووجدنا أنّ المجتمع البغدادي الذي عاش فيه التوحيدي قد أضفى على أدبه الشيء الكثير، لكنّه – المجتمع - قد غضّ الطّرف عن مضمونه وفحواه، بمعنى أنّه تسلّى به ولم يستجب له.

ويعد أبو حيّان التوحيدي من أبرز كتّاب النثر العربي القديم الذين نالوا حظوة ومكانة عند الباحثين رغم الاختلاف البيّن في سنة ولادته ونسبه ووفاته"، وهذا ما أهلّه ليحتل المنزلة، تلك الموسوعية الشاملة التي تبرز للقارئ من خلال مُصنفاته وامتهانه لحرفة الوراقة والنسخ التي زاولها في بغداد، إضافة إلى معرفته بأمور التصحيف والتحريف، وهو ذو الخط الجميل في الكتابة، مع توفر دقة نقوله. وقد عمل التوحيدي في النسخ والوراقة ببغداد، لكنّه أخذ يحاول التغلب على حرفة الشؤم التي عمل بها مع كثير من زملائه، الذين لم يسعدهم الحظ ليكونوا أصحاب مناصب. وبعد أن فقد ذلك أمل نفسه الطموحة لكي لا تذهب حرفته بالعمر والبصر منه. وخلّف هذا الأديب العديد من المؤلفات النثرية منها: الإشارات الإلهية، والمقابسات، والصداقة والصديق، وذمّ الوزيرين، ورسائل التوحيدي، وكتابه الموسوعي الكبير" الإمتاع والمؤانسة" الذي سنتوقف عنده لنتناول فيه " عادات الأكل والضيافة".

فقد حثّ الإسلام الحنيف المسلمين على طلاقة الوجه والإكثار من الحديث عند المؤاكلة بحضور الضيف، وحدثنا التوحيدي في كتابه" الإمتاع والمُؤانسة" الذي يتألف من أربعين ليلة لكنّ الكتاب المُحقق ينقص ليلتين هما" الحادية والثانية عشرة".

وتناول أبو حيّان في ليلتين عادات الأكل والضيافة منها ما جاء في الليلة السادسة، فقد عُرف عن العرب بأنّهم أمة قدّسها اللّه -عزّ وجلّ- وجبلها على أشرف الأخلاق، وائماً يفتخر العربي:"يفتخر بالمَحمَدة، وينتحل النجدة، ويضحك في وجه الضيف ويستقبله بالبِشر، ويقول: أحدّثه إنّ الحديث من القِرى"١٢١. وردّ التوحيدي على كلام الجيهاني الذي سبّ العرب ونال من أعراضهم وحطّ من أقدارهم.

بينما عقد صاحب الإمتاع والمُؤانسة الليلة الحادية والثلاثين في بحث شؤون أمر المطعمين والطاعمين، وأفاض في ذكر عادات الأكل والضيافة عند العرب مُستشهداً بأقوال الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ولأصحابه الكرام، وجمهرة من الأعلام، ولعدد من أقوال الشعراء على اختلاف عصورهم الأدبية، فبدأ حديثه للوزير بأقوال بعض السلف عن الطعام إذ:" هو أهون من أن يُحثّ على تناوله"، وإنّ من كرم الضيافة العربية أنّ أسماء بن خارجة قال:" ما صنعت طعاماً قطّ فدعوت عليه نفراً إلاّ كانوا أمنّ عليّ منّي عليهم"، وذكر ما حدث لامرأة جاءت إلى الليث بن سعد وقد طلبت عسلاً لزوجها المريض فأعطاها راوية عَسَلاً أكثر مما طلبت، ليشير إلى كرم ابن سعد.

وهناك من كان يكرم وينفق على جيرانه حتى لو كانوا أربعين داراً مثل أحد الكرماء الذي كان يبعث لهؤلاء بالأضاحي والكسوة في الأعياد، فضلاً عما يعتق في كلّ يوم عيد مائة مملوك١٢٨. أو ما يؤثر عن طعام النبيّ عليه الصلاة والسلام، بقول السيدة عائشة رضي اللّه عنها في بكائها عليه:" بأبي من لم ينَم على الوثير، ولم يشبع من خبز الشعير"١٢٩. بعدها امتد حديث التوحيدي في أمر المُطعمين والطاعمين إلى الليلة الثانية والثلاثين، فأنشد فيها لطائفة من الشعراء عن الأكل والضيافة العربية، وفي تقديم الطعام بأصنافه للضيوف.

وضمت هذه الليلة أشعاراً وأراجيز في حقّ الضيافة العربية وتقديم الأكل لطائفة من الشعراء وكانت موائد الطعام تُعدّ إعداداً كبيراً عند العرب، أولئك الذين عرفوا أصناف الأطعمة والمأكولات، والتي كثر عددها خلال الانفتاح الذي حصل إبّان العصر العباسي، واختلاط الأقوام غير العربية في الحضارة الإسلامية بالأقوام الوافدة. وأشار التوحيدي في الليلة السادسة خلال ردّه على الجيهاني الفارسي عندما أشار بقوله إلى أنّ الجاهل عنده من:" لبس الثوب الناعم، وأكل الخبز الحُوّارَى، ...وشرب الرحيق، وطَعِم العُشْب، وشَرِب الماء القَراح".

ولكنّ الأطعمة الشعبية وأصنافها العديدة هي مثار اعتزاز عند الناس، فحينما دُعي أبو خليفة المفضّل بن الحباب إلى وليمة رأى: الصِّحاف تُرفع وتُرفَع، فقال: أللحُسْن والمَنْظَر دُعينا، أم للأكل والمُخبَر؟ فقيل: بل للأكل والمخبر، فقد استغرب ودهش ابن الحباب ممّا رأى لكثرة الصِّحاف التي وضع فيها الطعام المنوع، فظنّ إنّ ذلك هو للفرجة لا للأكل، حتى إنّه عندما قيل له إنّها للأكل والمخبر قال:" فاتركوا الصّحفة يبلغ قَعْرُها". أو ماجرى للرجل الذي عشق جارية رومية، فطلب منها أنْ تعمل له أصنافاً من الأطعمة كالسكباجة، والدستجة من نبيذ، وقليّة جزورية والنّقل، والرؤوس السمان، وكان رد الجارية على هذا الطلب الغريب أنْ كتبت إليه في الليلة الحادية والثلاثين قائلة:" إنّي أرى الحُبّ يكون في القلب، وحبّك هذا ما تجاوز المعدة.

ثم عدد التوحيدي لأصناف الأطعمة التي أحبها رسول الله محمّد عليه الصلاة والسلام من أسعد بن زرارة كالهريسة، والحَيس وهو السويطة والرُغيفة من اللبن المطبوخ، وهي العصيدة، والحريرة، والنّجيرة، والحِسو، واللوقة، الرطب بالسّمن، والسليقة الذرة المدقوقة، والرّصيعة الحنطة المدقوقة ايضاً والمطبوخة بالسّمن، والوجيئة التّمر الذي يوجأ ثم يؤكل باللبن، ولبن الخلفة والنخية والقطيبة وهو لبن الإبل المخلوط بلبن الغنم.

أما عن الفرّاء "ت ٢٠٧هـ"، فنقل عنه أبو حيّان قوله بأنّ العرب:" تسمّي السكباجة الصعفصة"، ويكنون عن الجوع بأبي مالك، وعن أسماء أكل الطعام بأليد ذكر ما قاله الكلابيّ بأنّه كان:" يندفُ الطعام إذا أكلَه بيده، ويلقم الحسو، واللّقم بالشّفة، والنّدفُ: الأكل باليد".

لقد تعود الإنسان على تناول لُقيمات لسدّ رمقه وإقامة صلبه، وهنا بين التوحيدي في الليلة الثانية والثلاثين لذلك قائلاً:" إذا جمعت اللُّقمة واللُقمة من الثريد والعصائد فيقال لها دُبْلَة، ومنه سمّيت الدُّبَيْلة، وهي الورم الذي يخرج للناس". ١٤١ كما أجاب أحد الأعراب حين سُئل مإذا يصنع لو كان خليفة؟ فقال بأن يأمر الطُهاة:" فيعظمون الثّريدة ويُكثرون العِراق".

وعندما تحضر الصيحانيّة المُصلّبة كأطيب مُصنفة أكلها الناس بقول بعض العرب١٤٥، فهي نوع من التمر الصلب المضغ في المدينة، وهناك طعام يضرّ الإنسان وأشد:" طِعام ضُرّاً ما كان من عام إلى عام، وهو اللّبأ الذي لا يوجد إلاّ في الولادة كلّ عام وإن كان مزبدا". وعندما تجدب السنة ويحصل قحط في البلاد، فقد أكل الناس:" التّناقيط، بأن ينزع شعر الجلد ويلقى في النار ثم يؤكل". وأعقب التوحيدي تلك الشواهد بذكرما كتبه ابن دينار لصديق له تأخر عليه، فطلب منه أن يبعث له عن برّ يشبهه ويشبه صديقه، والذي يشبهه:" رغيف وسكرّجة حريف يثقب اللسان بحرافته". وتمثل بأقوال العرب عن الأطعمة كقولهم:"ماءٌ لا تبنَ معه ولا غيره خبزٌ قفارٌ؛ لا أُدْمَ معه، وسويق جافٌ هو الذي لم يُلتّ بسَمنٍ ولا زيت وحنطلٌ مُبسّل، وهو أن يؤكل وحده" ، مع قول التوحيدي في الليلة الثالثة والثلاثين لبيان أصناف الأطعمة العربية، في خبر أورده عن أبي العِيناء عندما تغدى عنده ابن مكرم:" فقُدم إليه عُراقاً، فلما جسّه قال : قدركم هذه قد طبخت بشطرنج؟".

نصوص أعدّها للنشر شاكر لعيبي:

تونس/المدى

"الصنائع والحرف الفنية لدى ابن خلدون"

في (سلسلة الفنون) التي ينشرها المعهد العالي للفنون والحرف بقابس، جنوب الجمهورية التونسية، صدر كتاب جديد يحمل عنوان "الصنائع والحرف الفنية لدى ابن خلدون" وهي نصوص نسقها وأعدها للنشر ومهد لها الشاعر العراقي شاكر لعيبي أستاذ تاريخ الفن وسيميائيات الصورة في المعهد المذكور.

والقراءات التي يتضمنها الكتاب تنحني، للمرة الأولى، على موضوعة واحدة محددة في الفكر الخلدونيّ: الحرف الفنية والصنائع. هذا أمرٌ جديدٌ تقريباً يلقي الضوءَ بطريقة منهجية شديدة السطوع على حقل مخصوص من الحقول الكثيرة التي مرّ عليها العلامة في سياق مشروعه الفكري في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، وهو قرن يترافق، ويا للمفارقة التاريخية، مع بداية عصر النهضة الأوربي" كما كتب محرر الكتاب في تمهيده.

يتضمن الكتاب سبع دراسات طوال استهلّها بحث سلوى النجار (تلازم العمل والعلم في الصنائع لدى ابن خلدون) ورأت فيه أن: "ابن خلدون (١٣٣٢ . ١٤٠٦م) إذ يتحدّث في مراتب الصنائع، يصنّفها حسب درجة تركيبها، يقول: "ثمّ إنّ الصنائع منها البسيط ومنها المركب". والبسيط من الصنائع عنده "هو الذي يختصّ بالضروريات والمركب هو الذي يكون للكماليات" فالمعيار إذن اجتماعيّ ولكنه يعكس حاجة المجتمع وتطوّرها، فما دعت إليه حاجة المجتمع وكان ضروريّا كان بسيطا، وما عدّ مطلبا كماليّا كان مركبا". أما شاكر لعيبي فقد عالج في بحثه (الحرف الفنية في الفكر الخلدوني) مشكلة الحرف الفنية مقدما فرضية جديدة تزعم أن ابن خلدون يقدم في الحقيقة (مدينة فاضلة) مزدهرة". ويقول لعيبي: "يقوم المفكّر بتقديم تصور براغماتيكي لمدينة فاضلة مكتملة، قَدَرُها النّمو ثمّ الشيخوخة ثمّ الموت، لكنها مدينةٌ مرسومةٌ بخطوط سوداء وبيضاء تقريباً،وسكّانها لا يستطيعون إلا القيام بحرفة واحدة مستجيبين، ككائناتٍ ثابتةٍ وسلبية، لشَرْطَيّ الانحطاط أو الازدهار للمدينة من دون إرادة واضحة من طرفهم، مُلبّين احتياجات خارجية لأنهم تقريباً من دون احتياجات روحية، بل حاجاتهم محض عقلية. التأنق والرفاهية والسلوك الرّاقي وحرف الترف هي انعكاس لازدهار براني. لا يطرد ابن خلدون أحدا من المدينة (إلا النساء اللواتي لم يقل شيئا عن أدوارٍ ممكنة لهنّ فيها)، فلكلّ دوره ومساره الدقيق: الصنائع والدين والسحر والعلوم الصرف والآداب. غير أنه، وهو يرى عدم الإمكانية الفعلية لمدينة لا احتياجات تشكيلية عميقة فيها، يعترف في لحظات نادرة من المقدمة بروعة وبهاء الخلق الفنيّ ولذته، متوصلاً إلى وصف تخريمات الأشكال المجسّمة مثلا بأنها: "قطع الرياض المنمنمة"، ووصف الخط الرفيع: بجمال الرونق وحسن الرواء".

وكتب الأستاذ محمد بن حمودة (منصب الصناعة في المتن الخلدوني) وهي مقالة ذات روح فلسفي يطرح فيها ما معناه أن ابن خلدون لا يستعير في (المقدمة) شيئا يذكر من الفكر الأغريقي. أما السيد محمد محسن الزارعي فكتب دراسة بعنوان (في معاني الصنائع الفنية وإشكاليات تصنيفها) مقترحا وضع تقسيمات ابن خلدون للحرف في سياق جديد. وفي دراسة محمد غوجة وهو أستاذ الموسيقى في المعهد المذكور (حول صناعة الغناء في مقدمة ابن خلدون) ففيها يعالج الباحث حرفة الغناء حسب رؤية العلامة. بينما كتب محمد الهادي دحمان عن (جودة الصنائع في فكر ابن خلدون) منبها إلى معيار التجويد كأحد المعايير النقدية الجمالية الأساسية في المقدمة. وكتب محسن التومي أخيراً (الفكر الخلدوني بين الأصالة والحداثة) حيث يقدم خلاصة عن السجالات الدائرة حاليا في تونس والعالم العربي عن فكر ابن خلدون.

ولعل الجديد والممتع في الكتاب أن منسقه قد أدرج في نهايته نصوصَ العلامة ابن خلدون التي تمسّ مباشرة أو مداورة الصنائع عموما والحرف الفنية خصوصا.